Translator: Multiple Skills for Constructing Literary Meaning

PhD. Salah NIAGUI

Faculty of Letters and Human Sciences,

Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes - Morocco

Science Step Journal / SSJ

December 2023/Volume 1- Issue 3

DOI: https://doi.org/10.6084/m9.figshare.24143130

To cite this article: NIAGUI, S. (2023, December).Translator: Multiple Skills for Constructing Literary Meaning. Science Step Journal (2), 205-222. ISSN: 3009-500X.

Abstract

This study aims to approach the worlds of translation, highlighting the various skills of the translator as principal variables, along with the semantic and structural transformations experienced by the translated literary text as dependent variables, resulting in the creation of a suitable literary translation. The translator is portrayed as a multifaceted being, and from this diversity emerges the harmony of the text and the flow of its unity.

The study is situated in the context of interest in the translator and their skill diversity, initially as a reader and subsequently as an interpreter, ultimately becoming an author of the literary work in the final stage—a mediator entrusted with bridging the gap between the author and the recipient. The study has undertaken a problematic approach focusing on the translator's ability to acquire translation skills and the mechanisms for managing them. Thus, the significance of the topic is emphasized by shedding light on the translator as a multi-skilled actor capable of combining tasks related to reading, comprehending, and transferring texts into different languages.

This study employs an analytical methodology, aiming to examine the translator's skills through theoretical models and practical translation applications on various texts.

The study seeks to deepen understanding of the translator's multifaceted skills and their ability to seamlessly integrate multiple tasks, resulting in a comprehensive translation with no distinction between copies and originals.

Keywords:

Translator, Literary Text, Literary Translation, Reading, Interpretation, Multitasking, Authorship.

© 2023 SSJ. All Rights Reserved

المترجم: مهاراتٌ متعدّدةٌ لبناء المعنى الأدبيّ

د. الصالح انياكي

كلية الآداب والعلومالانسانية،
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

ملخص:

تروم هذه الدراسة الاقترابَ من عوالم المترجم، ومهاراته المختلفة كمُتغيرات رئيسة، والتحوّلات الدلاليّة والتركيبيّة التي يعرفُها النّص الأدبي المترجم كمتغيّرات تابعة ينتج عنها بناء ترجمة أدبيّة لائقة. فالمترجم كائنٌ متعدّد المهارات، ومن هذا التّعدّد ينبثقُ تآلفُ النّص وانسيّابُ وحدتِه.

تأتي هذه الدّراسة في سيّاق الاهتمام بالمترجم في تعدّده المهاري كقارئٍ لأوّل الأمْر، ومؤوّلٌ بعدَها، فمُؤلفٍ للعمل الأدبيّ في المرحلة الأخيرة، ووسِيطٍ مؤتمنٍ بين المؤلّف والمتلقّي. لقد عملت هذه الدراسة على مقاربة إشكالية تمحورت حول مدى قدرة المترجم على اكتساب المهارات الترجمية، وآليّات تدبيرها. من هنا تبرز أهميّة الموضوع من خلال تسليطه الضوء على المترجم كفاعل متعدّد المهارات وقادرٍ على الجمع بين مهامّ قراءة النّصوص وتدبّرها ونقلها إلى اللغات الأخرى.

لقد اعتمدت هذه الدراسة منهجيّة تحليليّة تروم الوقوف على مهارات المترجم من خلال نماذج نظريّة، وتطبيقات ترجميّة على نصوص مختلفة.

تعمل هذه الدراسة على تعميق المعرفة بالمترجم في تعدّده المهاري، وقدرته على الجمع في نفس الوقت، بين مهام عديدة يُتيح اندماجها الحصول على ترجمة مكتملة الأركان، لا فرق فيها بين النّسخ والأصول.

الكلمات المفاتيح:

المتَرجِم، النّص الأدبيّ، التّرجمة الأدبية، القراءة، التأويل، التأليف، تعدّد المهامّ

© 2023 SSJ. All Rights Reserved

مقدمة:

إنّ كلّ الخطابات الأدبيّة تسوّق منتجاً محدّداً لِقارئ بعيْنه. فللشّعر قارئُه، وللقصّة قارئُها، وللرواية قُرّاؤها أيضاً. إنّ لِكلّ سِلعة أدبيّة مستهلكٌ خاصّ يترصّد بين الحين والآخر، جديدَها. هكذا تُصبح الأشكالُ الخطابيّة المختلفة إيذاناً بتعدّد القُرّاء المحتمَلِين، وبتعدّد سياقاتِ القراءة المصاحبةِ لِكلّ شكلٍ خطابيّ، مادام هذا الأخير يحوي داخلَه خصائصَ دقيقةً ينفردُ بها عن غيره من الخطاباتِ. إنّ كلّ خطابٍ هو مجموعةُ أنساقٍ لغويّةٍ يتقاطعُ فيها الصوتيّ، والدّلاليّ، والتركيبيّ، لِذا عملتِ التّرجمةُ الأدبيّةُ على أن تتّخذ دقائقَ هذه الأمور في الحسبان.

إنّ النّص الأدبيّ خطابٌ مفتوح على دلالاتٍ متعدّدة ينبعُ منشَؤها من معتقداتِ الكاتبِ، وأخيّلتِه، وتصوّره لما حوله، وبموْت هذا الكاتبِ حقيقةً أو افتراضاً، يبقى النّص في مواجهةٍ صريحةٍ ومفتوحةٍ مع القارئ. فكلّ قراءةٍ تتيح فهماً ملائماً لتلفّظَاتِ النّص وعلاماته، في ارتباطٍ وثيق بحيثياتِ زمانِ ومكانِ القراءة، وبظروف القائِم بها، مزاجاً وثقافةً وسلوكاً.
إنّ الأديبَ، وهو يكتبُ نصّه، يظلّ منشغلا بذلك القارئ الهدَفِ. إنّه يستحْضر دائماً، نمطاً خاصاً من القرّاء وما يُثيرهم من الأحداث، ويسْتهويهم. غير أنّه، ورغم كلّ المحاولاتِ الكثيرة، لا يفلح غالباً، في تحقيق مبتَغاه نظراً لِتعدّد هؤلاء القرّاء، واختلاف مسْتواياتِ ثقافاتهم وتلقيّاتهم.

إنّه يعيشُ في أغلب الحالات، لحظاتِ الكتابة، وطقوسَها متوجّهاً إلى متلقٍ ضمْني رسمَ له في الذّهْن صورةً بمعالمَ محدّدةٍ، وخصّه بمزاجٍ معيّن، وأسقَط عليْه رغباتٍ من روافد تجربتِه النّفسِيّة. إنّه وهْم الأديبِ _ الرّائي الذي يظنّ أنّه خَبَرَ همومَ قرائِه، واشتهاءاتهم وتقلّباتهم الشّعوريّة والعاطفيّة، دونَ أنْ يدري، ولوْ للَحظةٍ، أنّ كلّ ظنّه هو مجرّدُ افتراضاتٍ متعلّقةٍ بتداعيّاتٍ تخيّيليّة منبعِثةٍ من تجربتِه الذّاتيّة كمُؤلّف مبدعٍ. فما أنْ تنتَهي الكتابةُ، ويصِير العملُ ملْك قرّائه، ينتَهي الحضُور الفعليّ للكاتبِ، كبَانٍ للنّص وعوالِمه، وتُنتزَع منه الوِصايّةُ على ما كتبَ، وألّفَ بانتزاع صفةِ الوصِيّ منه. في هذه اللّحظة تحلّ مرحلة " القارئ الفعليّ[الذي لم يكنِ الكاتبُ زمنَ الكتابة، عالماً بوجوده، ولا بمكانِه، ولا بمُعتقده، ولا قادراً على] أنْ يعرفَه بالضّبط، ولا أنْ يتخيّل بدقّة ردودَ فعله"[1]. ذلك القارئُ المشاكِس الذي ألغى حضورُه تلكَ الافتراضاتِ المُعمَّمة علَى كلّ طبقاتِ القُراء، لِتبدأَ بعْدئذٍ، رحلةُ النّص الطّويلة التي لا تنتَهي معَ كلّ قارئ وكلّ قراءةٍ.

فمن بين هؤلاء القرّاء يحتلّ المترجمُ برغباتِه وفضوله، ومعارفه مرتبةً ذات أهميّةٍ كبرى. إنّه قارئ ليس كالقرّاء العاديّين الذين تسْتهْويهم مطالعُ النّصوص، وعوالمها التّخيّيليّة التي تملأ بعض فراغاتهم النّفسيّة والعاطفيّة بما يتوافقُ وميولاتِهم. إنّه

[1] ـ كيليطو، عبد الفتاح (2015). الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي(ص. 80)، ط. 12. دار توبقال.

© 2023 SSJ. All Rights Reserved

قارئٌ بأوجهٍ متعدّدةٍ، متسلحٌ برؤى وأفكار وفلسَفاتٍ، ولغاتٍ. فهو قارئٌ يسعى لبناءِ تمثّلاتٍ وأبنيّةٍ لغويّة أخَرَ من صميم ما قرأ، دون أنْ ينزاحَ عن النصّ/ الأصل، ومحمولاتِه الدّلاليّة، وقيّمه الإنسانيّة، ومظاهره السّوسيّوثقافيّة.

إنّ المترجمَ مهْما بدَا واحداً في ذاتِه، فهو متعدّدٌ في مهامِه التّرجميّة. فهو كلّ هذا الشّتاتِ مجتمعاً، حيث يتخِذ أشكالاً، ومظاهرَ وحدوداً يبدو القبضُ عليها عسيراً حينما لا يزيدُه هذا التعدّدُ إلا وحدةَ الشخصيّةِ واكتمالها.
إذن، ما هي أوجه هذا التعدّد؟ وما هي حدود تآلفه الممكنة؟ وكيف يصير المترجمُ في خضمّه واحداً بمهام متعدّدة؟

1) المُترجمُ بين وحدة الشّخصيّة وتعدّد المهام.

إنّ المترجم للنّص الأدبيّ والتخيّيلي بوجهٍ أخصَّ يتقلّد مهام كثيرةٍ. فهو منشطرٌ ما بين اهتماماتٍ شتى يتنازعُها الميّول الذاتيّ أحياناً، و تخضع في أحايين أخرى، لِضغوط النّص وعوالمه التخيّيليّة، ومستجداتِ اللغات الجديدة فهماً وقراءةً وتحويلاً. إنّه في ذات الوقت، ذلك القارئ واللغويّ، والبلاغيّ والمؤوّل، والمؤلّف في آخر مراتب العمليّة الترجميّة. وهذه أبرز المهام التي يضلع بها المترجم إنْ تتابعاً أو بالتّوازي وهو يقوم بعمله الترجمي.

أ . المُترجمُ قارئاً.

قبل أنْ يبدأ المُترجمُ عمليّاتِ التّرجمةِ، وإعادة بناءِ النّصّ وفْق ما ارتضَاهُ منْ تقويمٍ لُغويّ جديدٍ، وسيّاقاتٍ جديدةٍ، لا بُدّ لهُ من أنْ يقرأَ ذلك النّص الأدبيّ، ويُعيدَ قراءتَه مرّاتٍ ومرّاتٍ، حتّى يتمكّن من الوقوفِ على مجمَل مضَامينه والكشْف عن أبنيّتِه المُختلفة، وما تتميّز به من خصائصَ فنيّة وبلاغيّةٍ. إنّ القائم بالتّرجمَة، وقبلَ أنْ يكونَ مترجماً وناقلا للنّص، فهو قبل كلّ شيْء، قارئٌ فعْليّ تحكُمُه ميّولاتٌ نفسيّة، ورؤيّة فنيّة ذاتِيّة، وخلفيّاتٌ معرفيّة مُكتسبَةٌ توجّهُ اختياراتِه، وتدعمُها أحياناً.

إنّ المترجِم عموماً، وقبلَ أنْ يتقلّد أيّ مهمةٍ أخرى، هو قارئٌ تسْتهْويه النّصوص وشعريّاتُها. إنّه لا يتعاملُ مع النّص الأدبيّ بمنطقِ الحيّاد الآليّ بلْ يختار ما يرتبطُ به، ويتفاعلُ معه قراءةً، وتدبّراً بعقلِه تارة، وبأحاسِيسه تارة أخرى تبعاً لِما تقدّمه تلك القِراءةُ عبر تموّجاتِها، من أفكارٍ وتصوّراتٍ وإشاراتٍ.إنّ عمليّة الفهْم لديْه قد تكون ناتجةً عن سلُوكٍ قرائيّ محدّدٍ أو قد تكونُ مجرّد ردّة فعْلٍ طارئة اتجاهَ ما قُرِئ. إنّ القراءةَ بشكلٍ عامٍّ فعلٌ تتداخلُ فيه عواملٌ شتّى، وإسقاطاتٌ ذهنيّة غذتْها التّجاربُ السّابقة والخبْراتُ المتَلاحقة التي راكمَها المترجم كقارئ.

فبِموْتِ الكاتبِ يُصبح النّصّ ساحةَ سِجالٍ وبحثٍ عن المقولاتِ والإشاراتِ الأقربَ إلى المشترك الدّلالي العام. فبالقراءة يتعرّى القصدُ المرغوبُ فيه، وتكشفُ تلك المقولاتُ وعديدُ الإشاراتِ عنْ مخْزونِها الدّلالي. إنّها فعْلُ تفكيكٍ لِعَلاماتِ العمل الأدبيّ،

لغويّةً أو غير لغويّةٍ، والكشْف عمّا تكتنزُه بداخلِها من مُضمراتٍ كانتْ خامدةً بين ثنايا اللّغة وشبكةِ علاقاتها، قبلَ أنْ تعيدَ لها القراءاتُ المتواترةُ ديناميّتها التي غيّبتْها سلطةُ الكاتبِ من جهة، وفتورُ القارئ من جهة ثانية. في هذه اللّحظة، تصبح القراءةُ بحثاً مُضنيّاً عن مقارباتٍ تأويليّة تسهّل الفهْم العميقَ لكيفيّة عملِ بنيّاتِ العمل الأدبي الداخليّة، وتُسهِم في ذات الوقتِ، في إخْصابِ الدّلالة دونَ انتهاكٍ لخصُوصيّة النّص ومعانِيه أو خرْق لقواعد الترجمة وقيّمها.

إنّ المترجمَ هو قارئ قبل كلّ شيء، فهو ملزَم أن يعطي للقراءة وقتاً مهماً وأنْ يجعلها طقساً مقدّساً قبل الخوض في أيّ مغامرة ترجميّة. إنّ القراءة في هذه الحالة، وساطةٌ تربطُ ما بين فعلِ الكتابة وفعلِ الترجمة،لا يمكن تجاوزها أو تأخيرها أوْ اعتبارها مجرّد طقْس ثانوي. إنّها الوسيط الذي يُيَسّر للمتَرجم بناء العمليّة الترجميّة بالشّكل الأمثَل والأقربِ إلى الاكتمال.

فالمترجم وإنْ كان قارئاً للنّص، فهو لم يكن يوماً ما، مُحلّلا للعمل الأدبي أو ناقداً له أو دارساً لقضاياه إلاّ وفْق ما تتطلّبه القراءة الدّاعمة لفعل التّرجمة. فالتحليل عملية مركبة تستدعي نفساً نقدياً مُستنِداً لتوجّهاتٍ معرفية ما، يتوخى استثمار القراءة لبناءِ نصٍ واصفٍ لن يكون بالمطلق نفس النّص المقروء ولا حتّى بشَبيهه، بيْنما المُترجمُ ما هوَ في أغلَب الحَالاتِ، إلاّ ناقِلاً لِمضَامينِ النّص ومُحتواه، ومؤتمَناً على إيصَالِه لِقارئ آخرَ لا يُجيد نفسَ اللغة، وقد لا يعرفُ عنها شيئاً، دونَ أنْ يزيدَ في متْنه أو ينقُص منْه. لقد استندَ هذا التوصيفُ(المترجمُ ناقلاً) إلى كونِ أغلبِ نظريّاتِ الترجمةِ تُطْلقُ " مصطلحَ الترجمة عادةً على كلّ عملية نقلٍ(بشرية/ آلية، فورية/ بعدية) لنصّ لغوي ما منْ لغة ما إلى لغة أخرى"[2].

فعلى سُلّم الترتيب إذاً، تأتي عمليّةُ القراءة لاحِقةً لزمَن الكتابةِ التي ينْشأ على إثْرها العملُ الأدبي، بينما تكون الترجمةُ فعلاً لاحِقاً لكليْهما(الكتابةُ والقراءة)، فاستناداً لهما تبدأ الترجمةُ بحيّاكة نُسخٍ للأصول. في هذا الوقت بالذّات، تُصبح الترجمةُ لحظةَ استثْمارٍ لنتائجَ القراءة، وما أفرزتْه من تصوّراتٍ، وانبناءٍ خطابيّ لكلّ المقولاتِ المُنفتِحةِ على العديدِ من التقاطُعاتِ الدّلاليّة، التي يتِمّ تصْيّيغها وفْق ما تنضَح بهِ علاَماتُ النّص، وملفُوظاتُه من معانٍ.

إنّ المترجمَ الحاذق هو الذي لا يعتبر القراءة مجرّد عبور سهلٍ لأعماق النص وتردّداته، وهو أيْضاً من لا تُغريه ملذّات القراءَة وسفريّاتِها ليظلّ مرافقاً ذكياً لِسيْروراتِ النّص دون إسقاطاتٍ مغيّبة لصَوْت الأثر الأدبيّ، كما أنّه هو الذي لا يستسْهل عمليّة الترجَمة ولا يتسرّع في خوْضِها مهْما بدا له منْظور النّص طيّعاً وقابِلا للكشْف والاختِراق. إنَّ النّص الأدبيّ لا يكشِف عن

[2] ـ المتوكل، أحمد، الترجمة موطنة لمقاربة وظيفية للاتصال غير المباشر(ص.18)، دفاتر البحث العلمي(رقم 9). مختبر النظريات الوظيفية واللغات. تنسيق محمد جدير.

أسْراره إلاّ بعد أنْ يُقتَل النّصُّ قراءاتٍ متمعِنة وفاحصَة، طالما أنّ" لا وجود للدّلالة الجاهزَةِ أوْ المعنى المُكتَمل الذي لا يحتَاج منّا إلاّ إلى التّسْليم به وقبوله..."[3]

إنّ القراءةَ هي التمرينُ المُمهّدُ لأولَى خُطواتِ التّرجمة وبداياتِها، فإنْ أُسِيئَتْ تطبيقاتُه فسَدَتِ الترجمةُ وانحرفتْ عن مقاصِدها. فقد تستطيعُ القراءةُ أحياناً، أنْ تغيّر تصوّراتِ ومفاهيمَ العمل/ المصدر إذَا ما بدا المترجمُ مفتُوناً بعوالم النّص وتدفّقاته الرّمزيّة، وانساقَ مُهرولاً خلف تمثّلاتِه القرائية الجامحة، وإذا ما غُيّب أيضاً، منطقُ القراءة الموضوعيّة المحايّدة التي تفرّق بين ما يشعُر به القارئ/ المترجم من ملذّات اتجاه النّص وبين ما يقولُه هذا الأخير.

إنّ المُترجمَ الجيّد بلا شكّ، هو القارئ الجيّد الذي يتدبّر مخفيّ النّص وظاهره، بحكْمةٍ وأنَاةٍ وتبصّر، وهو الذي يتتبّع دروبَ ذلك النّص ومساراته باستمتاع المكتشِف. فمَا أنْ تتمّ القراءةُ الواعيّةُ والمتمهّلة تنجلِي مُضمراتُ اللّغة لتكشفَ عن جوهرها المخبوء ومن ثمة، يكشِفُ النّصُ بالتدريج، عن خباياه وأسراره ليُشاركَها المترجمَ.

إنّ المترجمَ هو القارئ الذي لا يملّ من أنْ يترصّد بوحَ النّصوصَ مُستعمِلا في ذلك، إنْ تطلّب الأمرُ، كلّ الطّقوس القرائيّة المتنوّعة. فهُو لا ينخَدِعُ بما يراه مكشُوفاً وباديّاً لعُموم القرّاء، ولا يتسرّع في إبداءِ الثقة بِظاهِر القوْل والتسْليم به. إنّه القارئ الّذي لا يتوقّف عن مُحاورة النصُوص منفتحاً، بشغَف المُستَبصِر وحِلْم العاشِق، على آفاقَ قرائيّةٍ سابقةٍ أرحبَ.

إنّ أيّ قراءةٍ منكفئةٍ على نفسِها، ومُكتفيّة بإمكاناتِها الذاتيّة واللحْظيّة، وهيّ تُعايّن النّص الأدبي، ستفشلُ حتماً، في بناءِ موضوعِها، والإحاطة بكلّ قضاياهُ وبلاغاتِه طالما تتمُّ بمعزلٍ عن باقِي النّصوص، والخطابات الأدبية الأخرى[4]. إنّ المُترجمَ إذَا ما أراد أنْ يستثمر ما قرأ على نحوٍ أمثلَ وأفيَد، فهو مطالبٌ في هذه الحالة، بأنْ يكون مُلمّاً بالفنُون والآداب المتنوعَة وبطرائق تعبيرها المختلفة، ومطّلعاً على مختلفِ المعارف والعلوم، ولوْ في حدودٍ دُنيا، ومتسلّحاً باستراتيجيّات قرائيةٍ متعدّدة المشاربِ تسْند قراءاتِه وتوجّهها نحو أقصَر طرق الكشْف عمّا هو مخبوءٌ بين ثنايا اللّغة وانفتاح النّص، ونحو تلك التقاطعات الفكريّة والتركيبيّة الجامعة بين ذلك المتن المقروءِ وبين أثر تلك القوالبِ الجماليّة والنحويّة والدلاليّة المحصّلة من القراءات السّابقة لأعمال أدبيّة أخرى.

إنّ الآثار الأدبيّة تظلّ في اتصَالٍ دائمٍ معَ مَا سَبقَها من كِتاباتٍ، تسْتعينُ بِها تارة، وتُحاكِيها تارة أخرى. إنّها صيْرورات غيرُ مُنقطِعة تتجاوزُ الزّمانَ والمكانَ والهُويّاتِ والمُعتقدَ. إنّ أغلبَ النّصُوص الأدبيّة تتَعالقُ فيما بيْنها، حتّى وإنْ اختلفتْ بِنْياتُها ومظاهرُ

---

[3] ـ غيلوفي، خليفة .(2017، يناير – مارس). الرواية العربية... من تأسيس الهوية إلى رهانات الحداثة (ص. 87). عالم الفكر (عدد.171).

[4] ـ كيليطو، عبد الفتاح (2015). الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي(ص. 24)، ط. 12. دار توبقال.

تركيبها، وأساليبُ تشيّيدها للأكْوان الأدبيّة، وزوَايا رؤيّتها لِمَا حولَها من العوالِم. فبالرّغم ممّا تعرفُه هذه الأعمَال من اختلافاتٍ، يبقى خيطٌ خفيّ يجمَع بيْنها، فيَشدّ اللاّحِق منْها بسَابِقاتها، ويربِط بعضُها ببعضٍ عبر سيْل من الامتِدادات الفكريّة المُتداخِلة الّتي تصِلُ نشأةَ الأفكارِ والفلسَفاتِ وتحوّلاتِها بما سبقَها من الأحداثِ والمظاهِر السّوسيّوثقافية، والقيّم الإنسانية المختلفة.

خلاصةُ القول، إنّ اكتمالَ فهْمِ أيّ خطابٍ كيفما كان جنسُه، ينبثقُ بالأساس ممّا خلُص إليه مقروءُ الخطابات السّابقة، وما أوْحتْ به للقارئ تلك الخطاباتُ زمنَ القراءة، من إشاراتٍ وتمثّلاتٍ واستنتاجاتٍ تتخذُ جميعها، مع الوقت، شكلَ تناصاتٍ لا يُمكنُ إغفالُها أو تخطّي تأثِيرها على عمَليّة الفهْم والاسْتيعاب، وتشكِيلِ المعْنى المحتَمَل.

ب . المتَرجمُ مؤوّلاً.

تختلفُ مضامينُ النّصُوص الأدبيّةِ، وأجنَاسُها ومرجعيّاتُ كُتّابِها وسيّاقاتُ تأليفِها ممّا قد يقودُ في الغالبِ، إلَى اعتمادِ طرائقَ مختلفةٍ لقراءتِها ولفكّ مرمُوزاتِها تحْصيلاً لمعْنى أو ما يقود لهذا المعنى. فإزاءَ كلّ نمَطٍ قرائيّ يعمَدُ المترجمُ إلى اختيّار التّرجمَة المُناسبَة للمعطيّاتِ المُحصَّلة، والّتي تمّ التوافقُ عليْها بين المتَرجِم، وهوَ في حالةِ تفاعلٍ مع مكوّناتِ النّص، وبين دوالّ هذا الأخير وعلامَاته.

إنّ المترجمُ في هذه اللّحظة، يبقى بيْن خيّارين يتنَازعَانِه: فإمّا أنْ يختَار ترجمة مبدعةً ومتحرّرةً تتجاوزُ تلفّظاتِ النّص وإشاراتِه، وإمّا أنْ يتوسّل بترجمةٍ حرفيّة تتتبّع ملْفُوظاتِ النّص، مُخلِصةً في سعيِها، لِمعاني الكلماتِ الأقربَ إلى الدّلالة المعجميّة، ودونَ أيّ تدخّل حتّى ولوْ كان في صالح النّص. فهذا الخيّارُ الترجميّ الأخير يَرى أنّ النّصَّ الأدبيّ مقدّسٌ، ولا يجوزُ بأيّ حالٍ من الأحوال، لأحدٍ مُساءلةَ مضَامينِه أو تراكِيبه أو أنحَائِه أو اختيّاراته المُعجميّة إلاّ في حدودِ ما يتطلّبه الإخلاصُ الصّارم للأصْل.

تُعدّ كلُّ قراءةٍ منتجةً لِمعنَى، كما يُعدّ كلُّ سيّاقٍ للقراءَة مُولّداً لِمعْنىً خاصٍ به، مُختلفٍ عمّا ولّدتْه سّياقاتٌ أخرى. ومن ثمّة، يُصبحُ كلُّ قارئ منْتجاً بالضّرورة، لِمعْناه. إنَّ الخطابَ الأدبي بكل تفرّعاته، ليسَ خطاباً مغلقَ الدّلالة، و" أنّ الكاتب [أيّ كاتب] لا يقدّم أشياءَ منجزةً، ونتائجَ حاصِلةً"[5] على حدّ قولِ الطيّب صالح. فليْس هناك، معْنى واحداً ثابتاً للنّص مهْما حاولتْ دوالُّه اللغويّة ورسائلُه الإشاريّة أنْ توهِم أعداداً من القّراء بذ'لك، ومهْما أبدتْ بعضُ كلماتِه وجملِه بعض التمنّع لتُواريّ أهدافَ النّص ومقاصِده.

[5] . الطيب، صالح(1982). تفتيت العالم.(ص.261). مجلة الكرمل. عدد. 9.

إنّ أيّ نصٍّ أدبيّ مهْما قرّب قُراءَه من فُرصَ استِكشافِه، فهُو لا يكْشِف بالمُطْلَق، عن أسْراره وخبَاياه كلّها إلاّ لِيُغرّرَ بهِمْ، ويرميّ بفهْمِهم بعيداً، عن مقاصِده الكبْرى. إنّه يومِئ في استحياءٍ لِبعْضِها، دونَما رغبةٍ في الكشْف الصّريح عنْها. إنَّ النصّ الأدبيّ، مهمَا تظاهَر بالوضوح، لا يُعرّي قليلَ أسْراره إلاّ ليُخفيّ الكثيرَ منْها. إنّهَا لعبَةُ التخفّي التِي تستَدرجُ القارئ نحْو بحْثٍ لا مُنتهٍ عن المعْنى وإشاراتِه الوامِضَة. إنّ المعْنى في النّص الأدبيّ شبيهٌ بضوءٍ في آخِر النّفق. فمَا أنْ يدخُل القارئ سراديبَ هذا النّفقِ، إلاّ ويزدَاد يقيناً، أنّه باتَ قريباً من مصْدر هذا الضّوء. إنّه الاستدراجُ الذكيّ للقارئ المُصِرّ على بلُوغ أقاصيّ النّص وحدودِ معانِيه. لكنّه استِدراجٌ قد يُخفِي خلفَ إشاراتِه استِسْهالاً لعبُور النّص(قراءَته) ممّا يؤدي في آخرِ المطاف، إلى الوقوفِ عند أوّل المعنَى دونَ الكشفِ الحقيقيّ عمّا وراءَ تلكَ الإشاراتِ من معانيّ أكبرَ.

قد لا يستطيع أيّ عملٍ أدَبيّ أنْ يُجسّد مجموعَ حيواتِ العَالَم مرّة واحدة، لكنّه قد يقدّم عنْها بعضاً من التصوّرات في وقت ما، وبشكْل قد يُعيدُ صيّاغتَها علَى نحوٍ مُختلفٍ عمّا تُدوّل عنها في زمنٍ سابقٍ، راجيّاً بذلك الفعْل، بناءَ جُسورٍ جديدة للتفاعُل بين الواقع الذي أنتجَها، وبين المُتخيّل الأدبي الذي أعادَ صوْغَها من جديد.

إنّ كلَّ كتابةٍ أدبيّةٍ قادرةٌ على أنْ تُصوّرُ جزءً من العالَم، لاَ العالمَ كلَّه. وبالرّغْم من هذَا القصُور يستطيعُ فعلُ الكتابةِ بكلّ تمظْهراتِه التخيّيليّة، أنْ يتَحوّل إلى رحِمٍ لتوْليد المعْنى وإخصَاب الدّلالة. وهو بذلك، يجعلُ منْ " القصُور" فعْلَ رؤْيا يُعيد هندسَة المضمَر من العالَم الذي عجَز الكاتب عن تصويره.

فَكلّما ازدادَ عددُ القرّاء، واختلفَتْ ظروفُهم الاجتماعيّة والثقافيّة والعقائديّةُ، وكلّما باتتْ لغةُ النّص حقلَ استنباتٍ لبلاغاتِ القوْل وانزياحاتِه الدّلاليّة والتركيبيّة، والصوتيّة، وتضاعفتْ الرّؤى والمشاعرُ والقيّم النّاشِئةُ عن تقاطُع كلّ تلْك العناصِر، إلاّ وأنتجتِ القراءَاتُ أكثرَ من معْنى للمتْن الواحِد، وتناسلتْ من صُلبه، الإيحاءَاتُ الخلاّقة الّتِي تستجيبُ لرهانِ اللحظَة، وإشراقاتِها المُعبّرة عن رغبَاتِ المُستقبِلين، ومكبُوتَاتِهم، والمُنسَجمَة مع استراتيجيّاتِ تلقّيهم للْمضْمَر من الرسَائِل وصريحِها.

إنّ ثراءَ أيّ نصّ أدبيّ لا يُحدّده حجمُه، ولا ألفاظُه، ولا شكلُه بلْ طبعُه المراوغُ وابتكاراتُه اللغويّة والبلاغيّة ومعنَاه المتعدّد. إنَّ أيّ معْنى وحيدٍ يتحوّل مع الوقت، شكْلا ثابتاً أجْوفَ، من السّهل عليْه أنْ يَقتُل أدبيّة النّص، وأنْ يُوقِفُ كلَّ احتمالاتِ تجدّدها. فالمعْنى" حين يُصبح شكلاً، فإنّه يُفرغ نفسَه، ويُصبح واهناً..[إنّ] الشّكلَ لا يكبثُ المعْنى[فقط] وإنّما يُفْقِره ويُبعده"[6]، لتُصبحَ بذلك كلّ الملفوظاتِ مُجرّد علاماتٍ ساكنَةٍ لا يبْني تجاوُرها أفقاً حاضناً لتناسُلِ المعاني، أو سيّاقات قادرةٍ على

[6] ـ بارت، رولان (2011). المعنى الثالث ومقالات أخرى. (ص.8). ط 1. ترجمة وتقديم: عزيز يوسف المطلبي. بيت الحكمة.

إنتَاج دلالاتٍ جديدةٍ. ففي هذه الحالةِ، يبقَى النّص الأدبي مُنغلقاً على نفسِه، وعلى قيّم عصْره، ومُرتهناً لتفكيرِ زمنٍ معلُومٍ، دون أنْ يستطيعَ تجاوُزه إلى غيْرِهِ من الأزْمنَة والعصُور.

فما أنْ يحوي النّصّ الأدبيّ أفكاراً جديدةً، ونظامَ قيّمٍ مُبشّرة، ورؤْيا مختلفةً عن سابِقاتِها، يكون بإمكانِه هو نفسُه، أنْ يحْيا مرّاتٍ عديدةً، وأنْ يواكبَ الكثيرَ من السّيْروراتِ السّوسيّوثقافيّة وتبدّلاتها. إنّ لِكلّ أثرٍ أدبيّ حيواتٌ قادرةٌ على التجدّد تجعلُه يتمدّد في الزّمان والمكانِ لينبعثَ من رمَاد القراءاتِ المُتواترة نصّاً آخرَ بملامحَ أخرى وأصواتٍ أُخرَ.

قد تنشأُ هذه الحيواتُ المتعدّدة للنّص الواحدِ من تعدّد قُرائِه، ومنْ غنى إمكانَاته اللغويّةِ والتركيبيّة وقابليّتِها للتّصْيّيغ وفْق أيّ رؤيا مُحتمَلةٍ، ومنْ قدرته على التكيّف المرِن مع كلّ الاستراتيجيّات القرائيّة، وما تُنتِجُه من وضعيّاتِ فهمٍ وتأويلٍ. إنَّ تعدّد المعنَى وإمكانيّة التوالُد الطّبيعي للدّلالةِ هو مَا يمنَح النّص صِفةَ أنْ يدوم طَويلا، وأنْ يحْيا بين النّاس عبْر كلّ العصور.

فكيفَ إذاً، لا تنضُب معانيّ النّص الأدبيّ، وكلماتُه هيّ نفسُها، لا تتغيّر؟ وكيف بإمكانِ هذا النّص أنْ يتجدّد ما بين لحْظةٍ وأخرى، وهو العمل ذاتُه؟ وكيفَ لهُ أن يحْيا متجدّداً ضدّ منطقِ الحياة ودورَتِها الاعتيّاديّةِ، مُدَداً طويلةً دونَ أنْ يشيخَ أو تترهّل معالِمُه؟

فمتَى كان النّصُّ الأدبيّ غيرَ مُرتهنٍ لمبدإ الاستهلاكِ اللّحْظي، وحاملا في ذاتِ الوقت، لقيّم إنسانيةٍ عُليا، ومُبشراً بجماليّاتٍ مُطلَقةِ الميّولِ والأهواء، كان له الخُلود والخصُوبة والتّجدّد نصِيباً. ومنْ ثمّ عاشَ وتجدّد ولم يشخْ، وأثمْر العديدَ من الدّلالاتِ دونَ أنْ ينفدَ مخْزونُه منْها. هكذا هيّ النّصوصُ الأكثرُ نُضجاً، وألَقاً وتناغماً.

ينضافُ إلى ما ذُكرَ منَ العَوامِل، عاملٌ آخر ذو أهميّة كبيرة في إغناءِ المعْنى وتواتُره: التّأويلُ. تلك الآليّة القرائيّة التي لا تركُن للقِراءةِ النّمطيّة للعمَل الأدبيّ، بلْ تتجاوزُ ذلك، إلى بحْثٍ في مكنُون النّص، وخلفيّاته، واحتِمالاتِه الدّلاليّة المتعدّدة.

إنَّ التأويلَ هو" البَحثُ عنِ المَعنى، والحَاجةُ إلى توْضِيحه وتفسِيره"[7]. إنّه إقراءٌ للحَدائق الخلفيّة للنّصوصِ، بعيداً عن تسْطيح مُنحنيّات القراءةِ والفهْم. إنّه أبلغُ آلياتِ توليدِ المعنى وبناءِ الاحتِمالاتِ التي تجعلُ من نفْس الأثرِ بوحاً مُتعدّد الأصواتِ والتشكّلاتِ.

---

[7]. الرويلي، ميجان. البازغي، سعد. (2002). دليل الناقد الأدبي – إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً.(ص.88). ط 3. المركز الثقافي العربي.

www.sciencestepjournal.com - © 2023 SSJ. All Rights Reserved

إنّ التأويلِ عمليّة لا تبني دلالتَها على الصّريح من الكلاَم، ولا علَى المباشِر من القول. إنّ مُضْمراتِ النّص الأدبيّ هيّ بؤرة كلّ قراءةٍ تأويليّةٍ، طالَما أنّ كلّ تأويلٍ هو كشفٌ للمخفيّ غير المصرّح به، وممارسةٌ بحثيّة تتقصّى نوايَا النّص وقصْده في غير ارتباطٍ بما يصوّره المعجم ويحدّده " المعنى التّاريخي" الذي لا يعكس أهميّة النّص المتغيّرة. تلك " الأهَميّة"[8] النّابعة من المُمكناتِ اللّغويّة، والقيّم النّاشِئة التي يقدمُها الفعلُ التّأويليّ لِحالاتِ النّص وتحوّلاتِه، إذ يرى ايميليو بتي أنّ المعنى كظاهرة تاريخية قابل للتحديد بينما " الأهمية" تتغيّر باستمرار، تبعاً لمتغيّرات خارجيّة إذ يرى هيرش أنّ أهمية النّص تتبلور من خلال علاقة معناه اللفظي بأمور أخرى، مثل : الوضع أو الموقف الشخصي الخاص..

إنّ ما يُنشئ المُضمَراتِ، ويقوّيها هو ميْلُ الكتابةِ إلى المجَاز، وتوابِعه ميْلا يجعل من المعنَى المحدّد ذي الطبيعةِ المُعجميّة معنىً زئبقيّاً يظهَر جليّاً، ثم يختفي ما بين القراءة والأخرى. إنّه ذلك" المعنَى الذي هو الاضافةُ التي لا يستَطيع أنْ يعيَها تفكيرٌ، وهو المعْنى المُثابر، والهاربُ، والسّلسُ، والمراوغ في الوقت عينِه"[9]. هكذا تنشأُ من الدّال الواحد مدلولاتٌ لا حصْر لها، قد يسْتعصِي معَها تحديدُ المعنى المراد الّذي قصدَه الكاتب وتبنّاه.

فأمام هذا الحِراك الدّلالي غير المسْتقر، تُصبح القراءةُ هيّ العتبة الأولى للصنّاعة الترجميّة. إنّ هذه الأخيرةَ لا تستطيعَ أنْ تحِيد عمّا رسمَه تلقّي النّصوصِ ـ فهْمًا وتأويلاً ـ من مساراتِ ترجميّة. ومَا أنْ تتدخّلَ شبكة الرّوافد القرائيّة في نسْج علامات النّص الأدبي، يُصبح" التأويلُ والتّرجمة... في جوهرِهمَا الشّيءَ نفسَه"[10]. وبمثْلِ هذا التصوّر تغدو الترجمةُ فعْلَ تأويلٍ يشتغلُ على مختلفَ المقُولاتِ النّصيّة القابلَة للتدْوير اللّغوي بتَحْويلها إلى مُعادِلاتٍ دلاليّةٍ، ثمّ إعادةِ تركيبِها في قوالبَ تركيبيّة وصوتيّة ومعجميّة تتناسبُ ومُخرجاتِ عمليّات التّأويل.

إنّ انتقالَ المترجِم من لغةٍ إلى أخرى مُروراً بسيّاقاتِ القراءةِ ورهاناتِ القرّاء ومعارفِهم، يفتحُ أمامَه إمكانيّاتِ التّأويلِ وسُبلَه المتشعّبة. فعبْر استغلالِ الناقل لكلّ البؤَر الدّلاليّة النّشِطة يُصبح من السّهل عليه، الوُلوجُ السلِسُ لعوالمِ النّص الأدبيّ بعيداً عن رقابَة الكاتب، ممّا يمنحُه مداخلَ العبُور لِلعُمقِ المخفيّ من ذلك النّصّ. بهذه الخطواتِ يتمكّن المترجمُ من إعادة بناء الدّلالة بعيداً عن إملاءاتِ المُعجم وصرامتِه.

---

[8] _ نفسه. دليل الناقد الأدبي.(صص 90 – 91).

[9] _ بارت، رولان.(2011). المعنى الثالث ومقالات أخرى.(ص.57). ط.1. ترجمة وتقديم: عزيز يوسف المطلبي، بيت الحكمة.

[10] _ الشيخ حمد، حسين. (1989). الترجمة خيانة النص: دراسة في نصوص مترجمة.(ص. 118) . مجلة الوحدة، عدد 61- 62.

ارتباطاً بما سبَق ذكْره، " لا مجال لإنكار أنّ الترجَمة عملٌ تأويليّ تكونُ ثمرتُه تجديدَ النظَر إلى الأصل بناءً على القراءة الخاصّة للمترجم"[11]. تلك القراءةُ المسْتندَة إلى تعدّد الوضعيّاتِ القرائيّة التي تؤطّر عمليّات تلقّي الخطَاب الأدبيّ.

فمَا أنْ يبدأ النّصُّ في التمرّد على مُنتجِه، يتقوّى منطقُ الافتراضاتِ ويتضخّم خيّارُ التأويلِ والتسليمُ به. فحينما تنعشُ الافتراضاتُ عمليّةَ التّلقي، ويخْصُب التأويلُ بين ثناياها، يغْدو النّص أكثر امتلاءً وتعدّداً دلالياً. إنّ التأويلَ في جوهره، عبارةٌ عن استنتاجاتٍ قرائيّةٍ صانعةٍ للمعْنى بعدَ غوْصٍ عميقٍ في ما وراء علاماتِ النّص اللغويّة وغيرِ اللّغويّة. إنَّ التأويلَ بهذه الكيْفيّة، لا يصنعُ المعْنى فقط، بلْ يبحثُ له عن مُصوّغاتٍ منطقيّةٍ تدافعُ عنه وتحمِي شرعيّته. منْ هنَا، أمْكن للمترجِم أنْ يُصبح مؤوّلا للنّصّ الأدبيّ، لا مجرّد ناقلٍ له فحسْب.

ج . المتَرجم مؤلّفاً.

إنّ عملية التأليفِ/ الكتابة بكلّ تعقيداتِها هيّ بشكلٍ من الأشكال، نزوعٌ نحو تكريسِ وعْيّ الأنَا. هذا الوعْيّ قائمٌ في أساسِه، على إبراز ذبذبَاتِ الذّاتِ وتموّجاتِها، في مُحاوَلة لإسقاطِها على الأثَر الأدبيّ. إنّ عمليّةَ الكتابةِ هذه، لا تنحصرُ فيما هو ذاتيّ صرفٌ، بلْ تعمدُ في بعض الأحيان، إلى التّوسّل بنوعٍ من الموضُوعيّة التي ترومُ منطقَ الحيّاد في طرحِ الأفكار والقضايا.

إنّ كلّ كتابة ـ ذاتية أم موضوعيّة ـ هيّ جملةُ علاماتٍ لغويّةٍ قادرة على إنتاج المعنَى وتوليده. إنّها صناعةٌ لغويّة بإمكانِها محاكاة ظروفِ بيئتِها في زمانٍ ومكانِ إنتاجها، وقد تتعدّى ذ'لك لِتُصبح قابلة للتعايّش مع طقوس زمنيّة ومكانيّة أخرى، مهما حملتْ بعضاً من ملامحِ مُنتجها وعصره. إنّ تفسيرَ تلك العلاماتِ لا يخضعُ في كثيرٍ من الأحيان، لِتعَاظُم الأنَا الفرديّ للمؤلّف، ولاَ لِنهْج الموضوعيّة المُتبنّاةِ من لدُنه، وإنّما لتآلفِهما معاً. إنَّ الكتابةَ الذكيّة هيّ التي لا تُحاول أنْ تُظهر أحدَهما أمام القارئ على حسَاب الآخَر أو تُخفيه. إنها تلك القادِرةُ على أنْ تُظهر الموقفَ والموقفَ الآخر، في تآلفٍ مبدع، دون أنْ تعكسَ فعليّاً، التوجّهَ الصّريح للكاتب.

إنّ كلّ علامةٍ داخل بنيّة النّص تحملُ من المعنى أكثر ممّا يظنّ القارئ أنّه علِم واستوفى الإحاطة به. فالتواريخُ، والأسماءُ، والأماكنُ، والملابسُ، والألوانُ هيّ إشاراتٌ موحيّةٌ لِأبْعَدَ من ظاهِرها. إنَّها حمّالة تصوّراتٍ أُخرَ، لذا يُصبح بإمكانِ أيّ قارئ أنْ يتحسّس نبضَها الآخر المُتواري خلفَ بلاغاتِ اللّغة، وأنْ يغمُرها بمخْتلف أحاسيسِه، وأنْ يسبُغ عليها من تجاربِه ما شاء له، وأنْ يتخيّر لها في نهايّة المطاف، من الدّلالاتِ ما يتناسبُ وقناعاتِه وهويّته وعقائده.

[11] ـ عبد الرحمان، طه.(1995). فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة.(ص. 58). المركز الثقافي العربي. [انظر عبد الله الهاشمي، مقدمات في ديداكتيك اللغات و الترجمة]

www.sciencestepjournal.com - © 2023 SSJ. All Rights Reserved

فما أنْ يبلُغ أخيراً، مسْعاهُ، ويطمئنَ لِما أنتجتْه قراءاتُه، يدركُ ذلك القارئ أنّه لم يقبضْ ممّا قرأ إلاّ، على جزءٍ ضئيلٍ من الدّلالة، وأنّه غيرُ قادرٍ على أنْ يُحيطَ بجميعِ مقاصِد ومدلولاتِ تلك العلاماتِ التي تُبدّل رسائلَها ما بين زمن الكتابة وزمن القراءة، وزمنِ الترجمةِ بالرّغم منْ أنّ اللغة نفسّها لم تتغيّر.

إذا كانتِ الترجمةُ مؤسَّسةً على عتباتِ القراءة، وأنّ المترجمَ قارئٌ متمكنٌ بالضّرورة، وعالِم بأحوال القراءة وآليّاتها وضوابطِها، فإنّ العمليّة الترجميّة تُصبح حينئذٍ، قادرةً على أنْ تملكَ سلطةَ التأثيرعلى النّص الأدبيّ كيفما كان جنسُه. إنّ القارئ السّابق الذي يتلبّس المترجِم الحالي، هو مَنْ يُوجّه التّرجمةَ، ويؤثّر في اختياراتِها اللّغويّة والجماليّة ما أنْ يوهِم نفسَه" بأنّ القراءةَ فعلٌ تقويلي يعمَد إليه...[ليُبرّر انحيّازه لمنطقِه التأويليّ لا لِمنطق المقْروء ومركّباتِه، ومن ثمة، يتحوّل هذا الفعل مع التّكرار، إلى عمليّة] افتعال تقويليّ من القارئ"[12] لا يستجيب في أغلب الحالات، لعلاقة الدّال والمدلُول، بلْ لإغراءاتِ الدّال، ومدى قابليّتِه لاحتواء الاشتهاءاتِ الكامنة بِبواطن ذلك القارئ قبل أن يغدو مُترجماً.

ما لاَ يعلمُه الكثيرُ، أنّ معَ كلِّ قراءةٍ متمرّسة يتعرّى للمترجِم جزءٌ من النّص لاَ النّصَ كلَّه. ومع كلّ إعادة للقراءةِ يتجاوزُ النّصُّ بوْحَه الأوّلَ ليُعلِنَ فيما بعدُ، كشْفاً آخر، ورؤيّةً للعالَم مُختلفةً عن سابقاتِها من الرّؤى.

فكلّما استطاعَ النّص الأدبيّ المراوغةَ أكثرَ، غرّر بالمُترجمُ وحوّله من حيثُ لاَ يشاءُ إلى مؤلّفٍ يسْعى إلى إعادة بناءِ تلفظاتِ ذلك النّص بما يشْتهي من اللّغة والبلاغة والتركيب. فَعقِبَ كلّ قراءةٍ جديدةٍ يتغيّر تمثّلهُ لِتلكَ التلفّظاتِ، ممّا يجعلُ معنَاها لا يستقرُّعلى حالٍ واحدٍ. من هنا، تصبح الترجمة فعلاً يُسايّر تجربةَ القراءة، لاَ النّص في ذاتِه.

من هذا المنظور، تصبحُ كلّ ترجمةٍ عمليّةَ تأليفٍ تُسايّر بِتَحايلٍ خلاّق، تحوّلاتِ النّص ما بعد القراءة، وما أحْدَثَتْه هذه الأخيرة، من زوبعاتٍ ذهنيّة. فحينما يتحوّل المترجمُ مؤلّفاً يسعى بكلّ جهْده، إلى خلْقِ جسْرِ عبور بين النّص المصدر، وبين النّص المحْدَث. هذا الجسْر المُعتمَدُ ما هو في الحقيقة، إلاّ محاولةَ تكيّيفٍ للدّلالاتِ المستنتجَة، وتصيّيغِها بمَا يتناسَبُ مع جديدِ البلاغاتِ الناشئَةِ من رحِم التّحوّلاتِ الطّارئة التي أنتجَها زمنُ القراءة وظروفه، وتفاعلُ الخلفيّاتِ المعرفيّة والثقافيّةِ المُتحكّمة في بناء المعنى وأبنيتِه الدّالة.

فقد نجد أنّ" حكايتيْن مُتعلقتيْن بنفسِ النّص لنْ تكونَا أبداً، متشابهتيْن. فكيف نفسّر هذا الاختلاف؟ بِسبَب أنّ هاتيْن الحِكايتيْن تصفَان ليْس عالمَ الكتابِ نفسَه، لكنْ ذلك الكونَ المُحوّل كما هوَ موجودٌ بداخل نفسيّة كلّ فرد"[13] تبعاً لتصوّر

---

[12] _ كموني، سعد. (2011). إغواء التأويل واستدراج النص الشعري بالتحليل النحوي.(ص.9). ط. 1. المركز الثقافي العربي.

[13] _ Todorov, T. (1971, 1978) Poétique de la Prose, Editions du Seuil, p : 145

تودوروف هذا، يمكن أنْ تغدوَ العمليّةُ القرائيةُ ذاتُ الخلفيّاتِ الفكريّة أحياناً، تضْليلاً للمُترجم عن رسائِل النّص المُباشرة، ممّا يزيد من تشويشِ رؤيتِه للعمل، بعدَما تتعدّد أمام عينيْه، مدلولاتُ الدّال الواحد، فلا تستطيع القراءةُ، الاكتفاء بالفهْم المعجَمي للألفاظ. وقتَها، لا ينشغلُ المترجمُ بنقْل النّص كمَا أراد لهُ كاتبُه أنْ يُنقلَ، بلْ بابتدَاعِ نصٍّ مُشابهٍ له، بعدمَا لم تسْعفْه القراءاتُ السّابقةُ على محاصَرة جوهَر النّص، ومقاصده، وعلى الإمساك بمُجمل عناصره المختلفة، وضبط حركة تلقّظاتِه.

فما أنْ تنْتهي مراسيمُ القراءة وطقوسِها إلاّ ويبدأ " المترجم" في رسْم الأكوان الّتي أسّسَتْها قراءاتُه للنّص. أمام غِنى هذا الأخير، ومزاجه المتقلِّب من طقس قرائيّ لآخر، قد يتبدّل فهمُ محمولاتِه الدّلاليّة والبلاغيّة والإشاريّة من لحظةٍ لأخرى، وِفْق مَا تَصوّره المترجم/ القارئ وقتئذ، ظانّاً أنّه يسلُك بذلك، مسْلكَ النّاقل الأكثر فهماً وتدبّراً لما قرأ. في حينٍ، أنّ عملَه لا يعدُو في أكثر الحالات تفاؤلاً، أنْ يكونَ تأليفاً آخرَ لنفْس النّص، وكتابةً مغايّرةً له، في تحدٍّ بيّنٍ للترجمَة كـ" فنّ جميلٍ يُعنَى بنقلِ ألفاظٍ ومعانٍ وأسَاليبَ من لغةٍ إلى أخرى"[14] وكنشاطٍ تحويليّ لمادّة أدبيّة من منشَإٍ لغوي إلى آخر. متى إذَن، يُصبح المترجمُ مؤلفاً؟

في اعتقادي يُصبح كذلك، حينما يختلطُ العملُ الأدبيّ بذاتِ المُترجم وتقلبَاته الدّاخليّة، وتيّار وعْيّه وإدراكه، ولا يستطيع بعْدها، أنْ يفرّق بيْن تصوّر أناهُ للأشياءِ ورؤية الآخر لهَا. تلْك الأنا التي تنسَى أنّ منْ واجبِها أنْ تكون مُحايدةً ما استطاعتْ إلى ذلك سبيلا، وذلك الآخر/ الكاتب الحقيقيّ، الحريصِ على أنْ يوجّه وإنْ غائباً، بوصلةَ النّقل التّرجميّ من داخِل نصّه، وأنْ يُؤطّر حدودَه بحدُود النّص ذاتِه، وإشاراتِه المُعلنِ منها والمُضمرِ.

فما أنْ يتمَاهَى المترجمُ مع الأجواء الحميمَة لقراءاتِه، إلاّ ويتحوّل بفعْل هذا التّماهِي، إلى مؤلّفٍ ثانٍ مُعجَبٌ بملكَتِه التخييْليّة، وبِبَراعاتِه الفائقة في تمثُّل المواقفِ اللّغويّة المختلفةِ، وما تعبّر عنه بنْياتُها الدّلاليّةُ الكبرى، وتوْجهِها بعْدئذٍ، إلى حيثُ استقرّ فهْمُه. ففِي مثْل هذا الموقفِ، يُخيّل لهُ أنّه الأقدرُ، على التّعبير بأحْسنَ ممّا جاءَ في أصْل النّص، لِذا تكبُر رغبتُه في عدم التقيّد بمنطوقِ المتُون وتلفّظاتِها، ومن ثمّ، يتحوّل إلى ذاتٍ متعايّشةٍ إلى درجةِ الحلُولِ مع ذواتِ العمَل الأدبيّ مُسقِطاً عليْها الكثِير من تصوّراتِه، مُوهِماً نفسَه في آخر المطَاف، أنّ بِحضُوره وَبغِنَى خلفيّاتِه المَعرفيّة، وبإسْقاطَاته الشّعوريّة سيحْيا النّصُ من جديدٍ، وينفتِح على آفاقَ أكثر رحابةً ممّا كان عليه الأصْل نفسُه. إنّه لاَ يتردّد بين الحينِ والآخر، في الغوْص بعيداً في اختياراتِه المعْجميّة والبلاغيّة والتركيبيّة مُتجاوزاً وعنْ عمْدٍ أحياناً، لا النّص الأصْلي فقط، ونظامَه اللّغويّ، بلْ قيّمَ التّرجمَة ذاتَها وسياقاتِها ونظُمَها.

[14] — خلوصي، صفاء.(1982). فن الترجمة في ضوء المقاربات المقارنة.(ص.14). دار الرشيد للنشر.

© 2023 SSJ. All Rights Reserved

إنّ المترْجم حينَ يتَحوّل إلى مؤلفٍ لا يقتنعُ بما يجودُ به النّص، وما يكشفُ عنه من أفكار ومعلوماتٍ، وتصوّراتٍ ومفاهيمَ، وإنّما يسْعى بكلّ قوّته، لاستنطاقِه عبر حفريّاتٍ تأويليّةٍ موغلةٍ في الذاتيّة، لا تكفّ في بعض المرّات، عن تحْويلِ نشاط الترجمة برمّته، إلى عمليّة ابتداعٍ لا أبداعٍ، وإلى فعْلِ تأليفٍ، لا فعْلَ ترجمةٍ ونقلٍ. وهذا الوضعُ الاستثنائي، غير الخاضِع لشُروطِ الترجمَة وإملاءاتِها ناتجٌ بالضرورة، عن حالةِ الانجذابِ اللّاإرَادي نحو بلاغاتِ النّص الأصْلي وتمظْهراته البيّانيّة، ومدى تعبِيرها عن مكبُوت الأهواء لحْظة تلقّي العمَل الأدبي. في هذا الوقتِ، يتحوّل القائم بالنقْل إلى مؤلّفٍ قائمٍ بدوْر المترجم، وحاملٍ لصِفتِه، وليس المترجم الفعليّ.

" وبظهور المؤلّف في إهابِ المترجم الذي يُمارِس دوْر الوسَاطةِ بين النصُوص والمُتلقّين، اكتسبتْ وظيفةُ نقلِ النّص من لغةٍ إلى أخرى شرعيّتَها الأدبية"[15] ، فبِمثْل هذا التصوّر يُصبح التأليفُ باسْم الترجمةِ عمليةً شرعيّةً تبيحُ لعمليّاتِ التّرجمة أنْ تتمدّد خارج حدود النّص بحثاً عن مُقابلاتٍ لغويّةٍ تزعُم أنّها تنقلُ ذاك النّصَ نفسَه. إنّ هذه العمليّة، وهيّ تتبنّى من خلال زعمِها وجوداً شرعيّاً، هيّ في الحقيقة، انتهاكٌ صريحٌ لمفهومِ الوساطَة المُحايّدة التي تضمنُ نقلَ حيواتِ الأثر الأدبي إلى لسانٍ آخرَ دون أنْ تغيّر من أصواتِ تلك الحيواتِ، وتردّداتِها، وتلويناتِها الكلاميّةِ.

إنّ فعْلَ التّرجمة ليسَ فعلَ إغارةٍ على النّص الأدَبي وحيواتِه. فتأليفُ عملٍ ثانٍ مبنِيّ على أنفاسِ العمَل الأصليّ ورؤيّته للعالَم هوَ بلا شكّ، مجرّد عمليّة اقتباسٍ مبنيّة على مبدإ التشابُه، لا صلةَ له بِفنّ الترجمة الحقّة. فاعتمادُ مثل ذلك التّصرّف لدى البعض [سمّيه تأليفاً، اقتباساً، أو مجرّد تناصٍّ...]، مرجعُه إلى إيمانِهم الكبير بجدْوى التّرجمَة النّاعمَة التي تبيحُ للقائم بها حُريّة التعامُل مع النّصوصِ لِدرجةِ خرْق الأصْل وبواعثِه.

إنَّ هذه الترجمةَ قدْ تتحوّل هيّ نفسُها، من فرْط تحرّرها إلى إبداعٍ شبيهٍ بعمليّات التأليفِ الأدبي، وقدْ تصلُ في بعضِ الحالاتِ، حدّ التأليفِ صناعةً وتفنّناً، عند مَن يروْن أنّ الترجمة إبداعٌ قبلَ أنْ تكونَ نقْلاً كربونيّاً خاضعاً لِحركّات وسكنات النّص/ المصْدر. لذا قدْ يصدُق على هذه العمليّات الترجميّة من القولِ ما يصدُق أحياناً، على فعْل التّأليف. فنقْلُ النّصوصِ الأدبيّة بِهذِه الصّورة قد يُغيّر منْ جوْهَرها وأصالتِها، ومنْ طبائعِها الأجناسيّة، ومنْ دبدباتِها الشعوريّة بعدَما تُصبح مثَار تداخُلاتٍ وإسقاطاتٍ فكريّة وتركيبيّةٍ وبَلاغيّة لم تكنْ منْ قبلُ، في خلَد كاتبِ هذه النصُوص ومُحرّرها.

وفي هذا المقام، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الترجمة لم تكن يوماً، تأليفاً بالمفهوم المتعارف عليه في أدبيّات الكتابة، إذا ما رُوعيّتْ الغاياتُ التي من أجلِها قامتْ التّرجمة واعتُمدَتْ كآليّة نقْلٍ أمينة، لا تزيد ولا تنقص ممّا كُلّفتْ بإيصاله إلى حيثُ أُريدَ له،

[15] ـــ إبراهيم، عبد الله. السّرد والترجمة، كذب أبيض – وغش سردي – وسوء تأويل.(ص. 14). مؤسسة الانتشار العربي.

أكانَ قارئاً متخصصاً أم مؤسّسة. ودون أنْ نكون أكثر تشدّداً فالترجمة قد تكون تأليفاً/ جمعاً لمنقول نصّ ما، لكنّه تأليفٌ يراعي قيّم النقل، وما تنصّ عليه أبجديّات الترجمة وتنظيراتها التي لا تفرّق بين الأصل ونسخته.

فكلّما تعاظمتْ انزياحاتُ هذه الترجمةِ وجانبتْ أبنيتُها اللغويّة وأصواتُها ومدلولاتُها محمولَ النّص الأصلي ومقاصده، وما تُصرّح به ملفوظاتُه أو تومئ إليهِ، فلا يبقَى من أصْل ذلِك النّصّ إلاّ انتماؤه لاسْم كاتبِه الأوّل، وبعضٌ من العتباتِ النّصّيّة الدّالة على أنّ هذا العملَ مُدرَجٌ في بابِ التّرجمَة. ونتيجةً لكلّ لِذلِك، يُمكنُ نعْتُ الفعْلِ التّرجميّ هذا، بعَمليّةِ خِداعٍ لُغويّ يُشبهُ إلى حدّ ما، العبثَ بِملاَمح بناءٍ قائمِ الأساسَاتِ عبْر ترمِيم واجهاتِه بما يُناسب أهواءَ المكلّفين، لا بما يتناسبُ مع أصلِه وهندسته. إنَّ هذا الخداعَ اللّغويّ يمتلكُ من خواصّ التّأليفِ ما لا طاقة للتّرجَمةِ الأمينة على تحمّله. فهُو مؤسَّسٌ على روحِ النّصّ السّابقِ وأنقاضِه، وبعض إشاراتِه، لاَ على أقوالِه المُعلنة وتلفّظاتِه.

إنّ عمليّة التّأويلِ هيّ أولَى مراتبِ " التّأليف" الّتي سبَق لنا الحديثُ عنها. فبالتأويل يبدأ الاشتغالُ خارج حدُود النّص ومُنطلَقاته اللّغويّة. وبه يتقوّى الزعْمُ ليُصبح يقيناً أحياناً، على أنّ " التأليف" ترجمةً، وأنّه لا تعارض بينهما. إنّ التأويل إبحارٌ خارج المعْنى المنظُور للنّص ممّا يجعلُ من التّرجمة حينئذٍ" صيّاغةً قرائيّةً للمعْنى في قالبٍ جديد"[16] أوْ هيّ تصيّيغ لمَا ينضَح به سطحُ النّص منْ معانٍ، وفْقَ استجاباتٍ ذاتيّة أحياناً، وموضوعيّة أخرى، قد تتجاوزُ الأصلَ ومُنطلَقاتِه لِتؤسّس لنَصّ آخرَ مؤلَّف وليْس بمُترجَم.

د . المتَرجمُ وسيطاً.

إذا كانتِ القراءةُ أهمَّ بابٍ لِولُوجِ عوالمِ النّص الأدبيّ، والشّروعِ في ترجَمتِه، ومثلُها التأويلُ، فالتأليفُ/ إعادةُ الكتابةِ خاتمةً لِهذه المحطّاتِ الطويلةِ، فإنّ العمليّة التّرجميّة برُمّتِها، تبقى حصِيلةَ تفاعُلٍ لهذه المراحِل جميعِها. إنّ النّصّ المُحوّلَ في حلّته الجديدةِ، هو نتاجُ لحَظاتٍ من التردّد، والإقْدام والرّضا والامتِعاض. إنّ اكتِمالَه لا يتأتّى بقراءةٍ عابرةٍ أو تلذّذٍ لحْظيّ أو رغبةٍ جامِحةٍ في اكتشافِ الآخرَ بلْ بالحرصِ على جعْل القراءةِ منطلقَ كلّ تأويلٍ وبدايةَ كلّ" تأليفٍ" يستنْسخُ ما آلتْ إليْه نتائجُ عمليّاتِ القراءةِ مُجتمِعةً بعدما أنْصتَ من خلالها، المترجمُ طويلاً لأصْواتِ النّصوص وحيواتِها، وتتبّع خيوطَ الحَكايا وتطوّر أحداثِها، وأسَاليبِها وبلاغاتِها.

إنّ القراءةَ حينما تقتَرن بالتّرجمةِ، لا تصبحُ فعْلاً مقصُوداً في ذاتِه، بلْ ما يَترتّب عنْها من حصادٍ دلالي هو ما يُصبحُ المقصُودَ بعيْنِه، في تجاوُزٍ للمَلذّات المصَاحبةِ للفعْل القرائي عبر مراحلِه المتعدّدة وإبدالاتِه. فالقراءة عبارة عن وساطةٍ بين المترجِم

[16] ـــ عبد الله الهاشمي، مقدمات في ديداكتيك اللغات والترجمة، ط 1،مكناس،2006، ص 58.

والعمَل الأدبيّ عبْرها يضطلعُ على مُجريّات النّص وتحولاتِه، ويرصُد كمونَه وحركته. بفعْل هذه العمليّة يُصبحُ المترجم وسيطاً بين العملِ المقروءِ وقرّائِه الجُدد في اللّغاتِ الأخْرى. فهُو النّاطِق الرّسْميّ الّذي يتحدّثُ باسمِ الكاتِب، ويَنقلُ أخبَاره وشخوصَه وفلسَفاتِه في الحياة، إلى الآخَر الذي يجهلُ تمَاماً، لغةَ المصْدر وبلَدها، وثقافةَ أهلِها وتاريخَ أفكَارهم. فأنْ يكونَ المترجمُ وسيطاً معنَاه أنْ يكون مُحايداً في نقْل العَملِ بما حمَلَ، وكأنّه الأصلُ، لا شبيهَ الأصل، لذا تبقى هذه الوساطةُ محفُوفةً بخطَر الانزلاقِ نحو تقويلِ النّص غيْرَ ما وردَ في متْنِه.

2) تعدّد المُترجم إثراء للنّص.

ما بين قارئ ومؤلّف ووسيط يغتني النّصّ المترجَم وتتوسّعُ طاقاتُه الدّلاليّة، ويعيدُ تشكيل متْنِه بما يتوافق وهذا التعدّد دون أن يتنازل النّص عن معناه الأصلي وإشاراته الثّقافيّة الموزّعة بين الوحدات اللغويّة المختلفة تركيباً وبلاغاتٍ. إنّ هذا التعدّد يقود التّرجمة الأدبيّة إلى تنويع أساليبها وتقنيّاتها. فتارة ينحاز المترجم إلى خيّار الترجمة الحرفيّة أو ما سمّاها بيتر نيومارك بالترجمة الدلاليّة[17] التي تسعى إلى الإخلاص إلى رؤية الكاتب وقيّمه الثّقافيّة مع الحرص على نقل المعنى الأولي للكلمات، وتارة أخرى، يميلُ عن طواعيّة، إلى الترجمة الحرّة/ التواصليّة التي توجّه عنايَتها نحو القارئ باعتباره عنصراً يكمّل الأضلاع الثلاثة للعمليّة الترجميّة(المؤلّف _ المترجم _ القارئ) كمُستقبلٍ للخطاب الأدبيّ في حلّته الجديدة، والذي قد يُغني حضورُه النّصَّ المترجَم قراءةً وتتبُّعاً ونقداً.

وبمِثلِ هذا التعدّد المُغني، يكون المترجِم واحداً في شخصِه متعدّداً في مهامّه، وكأنّنا أمام شخصيّة من زمن الماضي حينما كان الأديب مترجماً، ونحوياً وفلكيّاً وطبيباً وفيلسوفاً، حينما لم يكن للتخصّص وجود. من هذا المنطلق لقد جمع المترجم أغلب التخصّصات في مجال عمله، فبدا تعدّدُه اكتمالا لا نقصاً.

في الترجمة الأدبيّة والترجمة بشكل عامّ لا يُعدّ التعدّد فعلاً اعتباطيّاً تُمليه الصدَفُ، بل هو مزيّة المترجم ومادّة أساسيّة للبناء الترجميّ الصّحيح الذي يُثري جوهرَ النّص، ويُجدّد زوايا النّظر إلى أكوانِه المتحرّكة ممّا قد يُضفي على الأثر الأدبيّ المترجَم قيمةً مضافةً تتجاوز أحياناً، قيمةَ العملِ الأصلي، لِيُخرجه المترجِم من عزلتِه اللغويّة والثقافيّة، ويجعله بذلك، أكثر مقروئيّة وأكثر انتشاراً.

[17] _ Newmark, Peter, Approaches to translation, Shanghai Foreign Language Education Press, p: 39

خاتمة:

إذا كانتِ التّرجمةُ قنطرةَ عبور نحو الآخَر، والتعرّف عليه عن قربٍ وإنْ تباعدتِ المسافاتُ، واختلفتِ الألسُنُ، فإنّ المترجمَ يبقى هو مهندسُ هذه القنْطرة، وواضعُ أسُسِها. إنّ كلّ ترجمةٍ مكتملةٍ وناجحة، تركيباً، ولغةً، وبلاغاتٍ هي نتاجُ مجهود فكري ومعرفي، ونفسيّ، ومهاري متعدّد. إنّ المُترجمِ وهو يُوظف معظم مهاراتِه بحثاً عن معنى يليق بأصل النّص ولا يُخالفه، يبقى في أغلب الأحيان، متواريّاً خلف النّصّ وصاحبِه. غير أنّ كلّ الحقائق تؤكّدُ أنّ نجاحَ أيّ ترجمةٍ أدبيّة عائدٌ بالأساسِ، ليس للنّص الأصليّ، بلْ لِطرائقِ ترجمتِه، ولِبراعة المترجمِ الواحدِ في عدَدِه، المتعدّد في مهامّه ومهاراته. فهو تارة، قارئ وأخرى نحويّ، وأحياناً مؤوّل جماليّات بلاغيّة. إنّ امتلاك المترجم لِمثل هذه المهارات المتعدّدَةٍ تجعل من مكوّنات النّص المختلفة قادرةً على أنْ تأتلفَ فيما بينها لِتخلُق من التّعدّد وحدةَ النّصّ وانسجامِه، دونَ أدنى مساسٍ بالأصل ومحمولاتِه الدّلاليّة المختلفة.

© 2023 SSJ. All Rights Reserved

المراجع المعتمدة:

_ إبراهيم، عبد الله. السّرد والترجمة، كذب أبيض – وغش سردي – وسوء تأويل. مؤسسة الانتشار العربي.
_ بارت، رولان.(2011). المعنى الثالث ومقالات أخرى، ترجمة وتقديم: عزيز يوسف المطلبي، بيت الحكمة، ط. 1.
_ الرويلي، ميجان. البازغي، سعد(2002). دليل الناقد الأدبي - إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ط. 3.
_ خلوصي، صفاء. (1982)فن الترجمة في ضوء المقاربات المقارنة. دار الرشيد للنشر.
_ الشيخ حمد، حسين.(1989). الترجمة خيانة النص: دراسة في نصوص مترجمة. مجلة الوحدة. عدد 61- 62.
_ عبد الرحمان، طه.(1995). فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة.(ص. 58). المركز الثقافي العربي.
_ غيلوفي، خليفة. الرواية العربية... من تأسيس الهوية إلى رهانات الحداثة.(2017. يناير. فبراير). عالم الفكر. ع: 171.
_ كموني، سعد. إغواء التأويل واستدراج النص الشعري بالتحليل النحوي. المركز الثقافي العربي. الطبعة الاولى.
_ كيليطو، عبد الفتاح.(2007). الأدب والغرابة، دراسات بنيوية في الأدب العربي، سلسلة دار المعرفة الأدبية. ط .4.
_ المتوكل، أحمد. الترجمة موطئة لمقاربة وظيفية للاتصال غير المباشر، في ممارسة الترجمة، مختبر النظريات الوظيفية واللغات، دفاتر البحث العلمي، رقم 9 ، تنسيق د. محمد جدير.
_ الهاشمي، عبد الله. (2006).مقدمات في ديداكتيك اللغات و الترجمة. ط. 1.
_ Newmark, Peter . Approaches to translation, Shanghai Foreign Language Education Press.
_ Todorov, Tzvitan. Poétique de la Prose, Editions du Seuil, 1971, 1978.